HABIBIA ISLAMICUS
(The International Journal of Arabic &Islamic Research) (Quarterly) Trilingual (Arabic, English, Urdu) ISSN:2664-4916 (P) 2664-4924 (E)
Home Page: http://habibiaislamicus.com
Approved by HEC in Y Category
Indexed with: IRI (AIOU), Australian Islamic Library, ARI, ISI, SIS, Euro pub.
PUBLISHER HABIBIA RESEARCH ACADEMY
Project of **JAMIA HABIBIA INTERNATIONAL,** Reg. No: KAR No. 2287 Societies Registration Act XXI of 1860 Govt. of Sindh, Pakistan.
Website: www.habibia.edu.pk,
This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

TOPIC:

INTERPRETERS' ATTENTION TO POETIC CITATIONS IN SETTING GRAMMATICAL RULES AND "AL-DUR UL MASOON" AS A MODEL

عناية المفسرين بالاستشهاد الشعري في وضع القواعد النحوية تفسير الدر المصون أنموذجًا

AUTHORS:

1- *Dr. Muhammad Iqbal, Assistant Professor, Arabic Department, NUML, Islamabad, Email: mhiqbal@numl.edu.pk Orcid ID: https://orcid.org/0000-0002-5633-4988*
2- *Dr. Qasim Azzam Bhutta, Assistant Professor, Arabic Department, NUML, Islamabad, Email qabhutta@numl.edu.pk Orcid ID: https://orcid.org/0000-0001-6006-4776*
3- *Dr. Arif Siddiq, Assistant Professor, Department of Translation & Interpretation Faculty of Arabic, IIU, Islamabad, Email: arifsiddiq@hotmail.com Orcid ID: https://orcid.org/0000-0003-0438-9589*

How to Cite: *Iqbal, Muhammad, Qasim Azzam Bhutta, and Arif Siddiq. 2021. "ARABIC 2 INTERPRETERS' ATTENTION TO POETIC CITATIONS IN SETTING GRAMMATICAL RULES AND 'AL-DUR UL MASOON' AS A MODEL: عناية المفسرين بالاستشهاد الشعري في وضع القواعد النحوية تفسير الدر المصون أنموذجًا". Habibia Islamicus (The International Journal of Arabic and Islamic Research) 5 (3):9-20 https://doi.org/.10.47720/hi.2021.0503a02*
URL: http://habibiaislamicus.com/index.php/hirj/article/view/231
Vol. 5, No.3 || July –September 2021 || P. 9-20
Published online: 2021-09-28

QR. Code

INTERPRETERS' ATTENTION TO POETIC CITATIONS IN SETTING GRAMMATICAL RULES AND "AL-DUR UL MASOON" AS A MODEL

تفسیر الدر المصون أنموذجًا عنایۃ المفسرین بالاستشہاد الشعري في وضع القواعد النحویۃ

Muhammad Iqbal, Qasim Azzam Bhutta, Arif Siddiq,

ABSTRACT:

It is obvious that there is no book in history that has received the attention of researchers as well as the Quran, which was written about thousands of books, and was taken care of by Muslims in different ways: some of them studied in terms of rulings and devise doctrinal issues, and some of them in terms of extracting evidence of the assets of the faith, Some of them studied it in order to learn about the ways of various readings, and the sect took care beside the language to explain the strange and a statement to its grammatical expression and understand its methods or highlight its eloquence and reveal the secrets of its miracle. This has guided to emerge several new sciences, including grammar, the Quran played an important role in the development of the rules of the Arabic grammar and the enactment of its laws, and Arabic grammar played a useful role in the interpretation of the Quran and reveals its secrets. The objectives of the research may be summarized in the answer to clarify the beginnings of poetic citations in the books of Tafsir, and to explain the most important books concerned with poetic evidence in the development of grammatical rules, and to clarify the role of Arabic grammar in the interpretation and clarification of the Quranic verses, and to explain the role of the interpretation of the role of the preservation of Sameen Halabi in the production of poetic evidence, The position of the Sameen Halabi of Sim'a like the Quran, Hadith and Arabic poetry in the light of his interpretation of Al-Durr –Al-Masoon.

***KEYWORDS**: Quranic Tafasir, Al-Durre Al-Masoon, Poetic Citation, Arabic Grammar.*

إنه من الحقائق المسلمة بأننا لا نجد في التاريخ كتابًا الذي أخذ عناية الباحثين مثلما أخذ به كتاب الله القرآن الذي أُلِّف عنه ملايين المؤلفات، وكانت عناية المسلمين به من أسباب عديدة، فمنهم من درسه للتعرف على الأحكام واستخراج مسائل الفقه، ومنهم من درسه لاستنباط براهين مبادئ العقيدة، ومنهم من درسه لمعرفة أسباب النزول، وبعضهم درسوه من حيث التعرف على وجوه القراءات، ومنهم اهتموا بجانب اللغة بيانًا لغريبه وشرحًا لإعرابه وإظهار بلاغته وإبراز إعجاز نظمه. وقد سبَّب ذلك إلى نشأة العلوم الجديدة، ومن أهمها علم النحو، فقام القرآن الكريم بلعب دوره البارز في وضع القواعد النحوية العربية وسنِّها، كما أدى النحو العربي دوره الهام في تفسير الآيات القرآنية وتبيين أسرارها وكشف دررها ويواقيتها. ومع ذلك نرى انقسام علماء النحو منذ بداية التأليف في علم النحو إلى وجهتين متغايرتين من حيث التأليف في علم النحو العربي، فمنهم من عني بالوجهة النظرية ومنهم الآخر من عني بالوجهة التطبيقية، فمن أصحاب الوجهة النظرية، سيبويه مؤَلِّف الكتاب، والمبرد مؤلِّف المقتضب، وابن السراج مؤلِّف الأصول في النحو، والزجاجي مؤلِّف الجمل، والفارسي مؤَلِّف الإيضاح والتكملة، والزمخشري مؤلِّف المفصل، وابن الأنباري مؤلِّف الإنصاف في مسائل الخلاف، وابن مضاء القرطبي مؤلِّف الرد على النحاة، وابن الحاجب مؤلِّف الكافية والشافية، وابن مالك مؤلِّف التسهيل والألفية، وغيرهم كثيرين من ابن عصفور والشريف الرضي وابن هشام الأنصاري وجلال الدين السيوطي. ومن أصحاب الوجهة التطبيقية الفراء مؤلِّف معاني القرآن، وأبو عبيدة مؤلِّف مجاز القرآن، والأخفش مؤلِّف معاني القرآن، وابن الزجاج مؤلِّف معاني القرآن وإعرابه، والنحاس مؤلِّف إعراب القرآن، وابن

جني مؤلِّف المحتسب، ومكي مؤلِّف مشكل إعراب القرآن، وابن عطية مؤلِّف المحرر الوجيز، والعكبري مؤلِّف التبيان في إعراب القرآن، وأبوحيان الأندلسي مؤلِّف البحر المحيط، والسمين الحلبي مؤلِّف الدر المصون وغيرهم الكثيرون.

مشكلة البحث؟ تكمن مشكلة البحث في معرفة مدى اهتمام المفسرين بالاستشهاد الشعري في كتب التفاسير في وضع القواعد النحوية، فلذلك تجيب هذه الدراسة عن الأسئلة الآتية:

1- ما هي بدايات الاستشهاد الشعري في كتب التفاسير ؟
2- ما هي الكتب الهامة التي اهتمت بالشواهد الشعرية؟
3- ما هو العلم الذي لعب دوره في تشريح وتبيين الآيات القرآنية؟
4- من هو أهم عالم نحوي الذي ألف تفسيره في القواعد النحوية؟
5- وإلى مدى قام ذلك العالم النحوي بالاستشهاد الشعري في تبيين الآيات القرآنية؟

أهداف البحث: يمكن إجمال أهداف البحث في الإجابة عما يأتي:

1- توضيح بدايات الاستشهاد الشعري في كتب التفاسير.
2- بيان أهم الكتب التي عنيت بالشواهد الشعرية في وضع القواعد النحوية.
3- توضيح دور النحو العربي في تفسير وتبيين الآيات القرآنية.
4- بيان دور تفسير الدر المصون للسمين الحلبي في إيراد الشواهد الشعرية.
5- توضيح موقف السمين الحلبي من السماع من القرآن والحديث والشعر العربي في ضوء تفسيره الدر المصون.
6- إيراد بعض النماذج الشعرية من الدر المصون في وضع القواعد النحوية.

منهجية البحث: تعتمد منهجية البحث على ما يلي:

1- استقراء الشواهد الشعرية في كتب التفاسير المختلفة.
2- تصنيف الشواهد الشعرية الواردة في الدر المصون حسب الضرورة والاحتياج إليها.
3- استنباط النتائج المترتبة من الاستشهاد الشعري في وضع القواعد النحوية.

خطة البحث: فحسب مقتضى الموضوع سيتناول هذا المقال هذه القضية الهامة من خلال تقسيمه إلى المقدمة وثلاثة مباحث والخاتمة كالتالي:

المقدمة: واشتملت على مشكلة البحث وأهدافه ومنهجيته وخطة البحث.

المبحث الأول: مدى عناية المفسرين بالاستشهاد الشعري في وضع القواعد النحوية.

المبحث الثاني: مكانة الدر المصون وحياة صاحبه السمين الحلبي.

المبحث الثالث: تحليل ودراسة الشواهد الشعرية الواردة في الدر المصون في تطبيق القواعد النحوية.

الخاتمة: واشتملت على أهم نتائج البحث.

المبحث الأول عناية المفسرين بالاستشهاد الشعري في وضع القواعد النحوية: الاستشهاد بالشعر واللغة يُعدُّ من أبكر أشكال الدراسات اللغوية، وهذا يُرى واضحًا في كل من كتب معاني القرآن وكتب إعراب القرآن، فهي جمعت المحاولات الأولى التي بذلت في تفسير وتشريح الآيات القرآنية تحليلًا لغويًا وتبيين ما تعلق بها من شواهد شعرية ولغوية، وأوّل شاهد على ذلك كتاب معاني القرآن للفراء الذي قام بجمع ما بين التفسير الأثري والتحليل اللغوي لما يشمل كلًّا من التفسير والنحو والبلاغة. ويتجلى فيه أثر النحو بوضوح، ما يدخله في مجال كتب التفسير اللغوي التي تقدِّم صورة العلاقة المتينة بين علم النحو وعلم التفسير. وقد سار على منواله علماء عصره في مجال دراسة القرآن لكونه مأخذ التشريع ومصدر حفظ اللغة العربية، بالإضافة إلى ذلك ألف أساتذة الفراء أمثال الرؤاسي والكسائي ويونس بن حبيب مؤلفاتهم في مجال معاني القرآن أيضًا.

وهكذا نرى مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى الذي يعدُّ عند معظم العلماء أوّل ما صُنِّف في مجال علم معاني القرآن من أي عالم لغويٍّ، وهنا ميزة أبي عبيدة واضحة في كتابه هذا بأنه يستورد تفسيرًا لغويًّا، متكئًا على نوع من الحرية، ويخرج من قوانين المذهبين النحويين البصري والكوفي، لكونهما في دور التدوين. وهو يلمُّ بقضية الشواهد الشعرية لتبيين الآيات القرآنية إلمامًا واسعًا، وقد وجَّه عنايته إلى الجانب اللغوي، فصرف همه ذلك عن إيراد القصص وأسباب النزول إلَّا إذا احتاج فهم النص ذلك، وينفرد أسلوبه بشيئ من اليُسر والقرب، فهو يهتم بالفهم والذوق اللغوي، ويرجع إلى كلام العرب[1].وخلاصة ما تقدَّم بأنّ كتب المعاني تبيِّن لغة القرآن وبيان وجوه إعرابه والوقوف عند مشكله وتجلية معانيه، وتربط ما من المشكلات في ألفاظ القرآن الكريم، وما يحتاج إلى شيئ من التعقيد في فهمها.وهكذا كتب إعراب القرآن التي تُعدُّ نوعًا من أنواع علم المعاني بشمولها بعض أغراضها، وذلك الإعراب، أراد مؤلفوها من الشواهد الشعرية في مجال وضع القواعد النحوية كالزجاج (ت:310هـ) والنحاس (ت:338هـ) مؤلفي إعراب القرآن، وهكذا العكبري صاحب التبيان في إعراب القرآن. فجمع الزجاج في كتابه الموسوم بمعاني القرآن وإعرابه كلًّا من الإعراب والمعاني وقال في البداية: "هذا كتاب مختصر في إعراب القرآن ومعانيه"[2]. وهكذا يقول بعد قليل بأنّ قصده أصالة إعراب القرآن: "وإنّما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير لأنّ كتاب الله ينبغي أن يبيّن"[3]. وكما ذكر الدكتور شلبي أسلوبه في كتابه: "يثبت الآية، ثم يحلِّل بعض ألفاظها على طريقته في الاشتقاق اللغوي، فيذكر أصل الكلمة والمعنى اللغوي الذي تدلّ عليه، ثمّ يورد الكلمات التي تشاركها في حروفها، ويستشهد على رأيه بما يؤيده من كلام العرب وأشعارهم، ثمّ يبدأ بإعراب الآية، وهو في كلّ هذا يناقش النحويين الآخرين، وقد يأخذ بآرائهم أو يردّها"[4]. وهكذا أبو جعفر النحاس كتب كتابه باسم إعراب القرآن، وقد بيَّن أسلوبه في بداية كتابه قائلًا: "هذا كتاب أذكر فيه، إن شاء الله إعراب القرآن والقراءات التي تحتاج أن يبيّن إعرابها والعلل فيها ولا أخليه من اختلاف النحويين وما يُحتاج إليه من المعاني وما أجازه بعضهم ومنعه بعضهم وزيادات في المعاني وشرح لها"[5]. فخطبته في بداية مؤلَّفه تدلُّ بصراحة على العلاقة الوثيقة بين علم النحو وتوجيه معاني الآيات القرآنية. وبعدهما جاء أبو البقاء العكبري (ت:616هـ) وكتب كتابه المسمى بالتبيان في إعراب القرآن، وقام بإعراب كامل القرآن، وكان أسلوبه بتبيين وجوه القراءات أولًا وذكر توجيهات إعرابها ثانيًا، وكذلك كان يشير كثيرًا إلى معنى الآية، وهو أيضًا كان يستشهد بالشعر العربي على ما يذهب إليه، وقد يورد أسماء أئمة النحو والتفسير الذين يذكر أقوالهم،

ويبيّن توجيهات الإعراب في الآية، ولا يقوم بالترجيح بينها، وهذا يرى كثيرًا في كتابه، وقد يرجّح بين الوجوه بتضعيف أحدهما، وهو قد يذكر وجهًا، ثم يأتي بإتيان كلمة "قيل"، وقد لا يناسب ذكر الإعراب ببيان المعنى فقط[6]. وإذا عدنا إلى كتاب سيبويه فإننا نراه يُورد شواهد كثيرة من كتاب الله ومن الشعر والنثر وسنة رسول الله ﷺ. وهكذا يأتي بعده ابن هشام الأنصاري بكتابه المغني، هو في الأصل مؤلَّف تفسيري نحوي للآيات القرآنية، وذلك أنّنا لا نجد صفحة من صفحاته إلا وفيها آية من الآيات القرآنية، لكونها لغرض التمثيل، أو لغرض الاستشهاد أو لغرض التخريج، ثم هو يتحدَّث عن وجود القراءات ويتكلَّم عن توجيهاتها النحوية، وهو في هذا المجال أحسن مؤلَّفٍ نحوي يدور حول الآيات القرآنية في ضوء علم النحو وفي ضوء مقاييسه وضوابطه. فصارت قضية الشواهد من القضايا العادية يمارسها المؤلفون في سائر الأشياء التي لها علاقة بالدرس النحوي على اختلاف واضح بين المصنفات في تأليفها وتقديمها مع تأثرهم بما وعوا من الآيات القرآنية ومن الأشعار ومصنفات الأسلاف، فبعضهم اهتموا بالشواهد القرآنية ورجحوا عناية فزادت الشواهد الشعرية، وهذا هو ما فعله ابن هشام في كتابه شرح شذوذ الذهب إذ وصل عدد الآيات ست مائة وتسعًا وخمسين آية، والأبيات ثلاثة مائة وتسع وثلاثين بيتًا. وكما فعل ابن معطي في "الفصول الخمسون"، إذ بلغ عدد الآيات فوق مائة وثلاثا وعشرين آية، وعدد الأبيات فوق سبعة وستين بيتًا. وبعضهم اهتموا بالشواهد الشعرية، فزاد عددها الشواهد القرآنية، وهذا هو ما فعله سيبويه في كتابه النحوي الكتاب إذ وصل عدد الأبيات ألفا وخمس مائة بيتًا وعدد الأبيات أربع مائة وسبعا وأربعين آية فقط[7]. ثم نرى ظهور كتب التفسير لكي تستفيد مما جاء من الشواهد النحوية في تفسير وتأويل الآيات، فتفسير ابن جرير الطبري المعروف بـ "جامع البيان" مثلًا لم يتحدث سوى الأرضية الخصبة وزرع فيها المسائل النحوية، حتى إذا استقامت، فاستفاد وأفاد، وهكذا كتاب السمين الحلبي باسم الدر المصون في علوم الكتاب المكنون[8].

المبحث الثاني: مكانة الدر المصون وصاحبه السمين الحلبي: صاحب الدر المصون هو أحمد بن يوسف الحلبي، والسمين هو لقبه[9]. واتفق معظم المؤرخين على أن المقرئ السمين الحلبي قد ترعرع بحلب، وقد عُرف هنا بلقبه السمين، وحسب العادة تحوَّل إلى القاهرة مدينة الثقافة مثلما كان ذلك علماء حلب والشام، لكون القاهرة وقتئذٍ مركز الدين الحنيف وعاصمة الإمارة في عصر المماليك، واستوطنها إلى آخر عمره، إلى أن أصبح معروفًا بالمصري مكان الحلبي[10]، ومن هنا وقف شهاب الدين أحمد المصري نفسه وحياته كلها لمصر، وهناك أخذ اسمه الشهرة والسمعة الحسنة في الأوساط العلمية بمصر، وتوسعت علومه وانتشرت فنونه فيما بين الناس، ومع ذلك لا نجد أية معلومة تدلُّ مدة حياته في مدينته الأصلية حلب، وحتى تاريخ تحوُّله منها[11]. ويبدو أنه نال مكانة مرموقة أثناء قيامه في مصر، فقد بدأ بتدريس علمي النحو والقراءات في جامع ابن طولون، كما تولى مهام الأوقاف بالقاهرة، وأقيم مقام بعض القضاة فيها[12].كما قام بالتدريس في مسجد الإمام الشافعي[13]. وتسافر في المدن المصرية، فانتقل إلى معلِّمه الأستاذالعشاب بالإسكندرية لِيتلقَّى منه قراءة الحروف[14]. لقد عُرف أيضًا عن السمين أنه كانت له براعة كاملة في فن القراءات، لقيامه بتدريسها وإقراءها[15]. ومؤلفه الدر المصون أصدق شاهد على أن السمين الحلبي قد تحصل التعمق والدقة في هذا الفن. فقد أورد السمين في مؤلفه الدر المصون مجموعة كبيرة من كلتا القراءات الشاذة

والمتواترة[16]. وقد ألّف كتابا هامًّا في هذا الفن باسم "شرح الشاطبية"، عرَّفه المقرئ ابن الجوزي هكذا: "شرح لم يُسبق إلى مثله"[17]. ويُرى أن السمين الحلبي قد تعمق في تفقه علوم العربية وقام بتمثلها، ومؤلفه الدر المصون أحسن دليل على ذلك[18]. وكأنَّ لصاحبنا الإمام السمين الحلبي تراث طيب ينبو عن معرفته الواسعة ومكانته المرموقة، ومن مؤلفاته: الدر المصون، وتفسير القرآن، والقول الوجيز، وشرح التسهيل، وشرح الشاطبية، وهو في فن القراءات، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، وغيرها. فهذه ذخيرة غنية تشهد عن عقلية شيخنا المتفردة وفكره الواسع الذي استوعب به علوم العربية والشرعية. وبعد حياة حافلة بالعطاء و التأليف، فقد انتقل إلى رحمة ربّه في القاهرة عام ست وخمسين وسبع مائة[19].

الدر المصون ومكانته العلمية: لا يستطيع أحد أن يرفض مجهودات العلماء الأفاضل الذين قدَموا خدمات جليلة في اللغة وعلم الدين الحنيف، وما ورّثه هؤلاء العلماء الأخلاف من تراث علمي واسع شاهد عدل على تلك المجهودات التي بذلوها في ذلك الميدان الباحر، كما لا يرفض أحد مكانة المؤلفات المرموقة التي ألفوها ملخص فكرهم الثاقب وثمرة عملهم العظيم. يقول حاجي خليفة عن الدر المصون: "فهو مع اشتماله على غيره أجلّ ما صنّف فيه – أي علم إعراب القرآن – لأنه جمع العلوم الخمسة: الإعراب، والتصريف، واللغة، والمعاني، والبيان"[20]. ويقول السيوطي أيضًا عند الكلام عن معرفة إعراب القرآن: "وكتاب السمين أجلّها..."[21]. ويقول العلامة الداوودي أيضًا عنه.... "ألّفه في حياة شيخه الاَّ أنَّه زاد عليه، وناقشه في مواضع مناقشة حسنة"[22].وفي ضوء هذه الآراء المذكورة آنفًا نحن نستطيع أن ندرك مكانة الدر المصون العلمية العالية وشأنه المرموق العظيم. ومن يقرأ هذا الكتاب يجد أنَّ السمين قد تلقى مواده العلمية من مؤلفات العلماء السابقين الأولين، ويرى متأثرًا شديدًا بأسلوب ومنهج أستاذه وشيخه أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط، فقد سار السمين حسب منهج أستاذه الجليل الذي يتكئ على استقراء الآراء من مؤلفات السابقين، وتقديمها، وإيراد النصوص وتأليفها وبذل الجهد الشاق في استيفاء الحديث على قضايا هذا الكتاب، وإتيان القراءات المشهورة والشاذة وما أورد العلماء السابقون من الآراء في توجيهها، ثم يستوقف السمين نفسه أمام هذه الآراء موقف المنضد والناقد لها فمرةً يفضِّل بعضها على بعض، وتارةً يمرِّض مع الدليل لكلٍّ ما يذكر. إذا تصفحنا نصوص الدر المصون وناقشنا أبعادها، يرى أن السمين رجل ملتزم محافظ في القراءات القرآنيّة. وقد تكون هذه الفكرة نابعة بشرف حصول علمه الغزيز على شيخه أبي حيان صاحب الالتزام والمحافظة.

المبحث الثالث: الاستشهاد بالشعر العربي في الدر المصون في وضع القواعد النحوية : قبل أن نبدأ في بيان موقف صاحب الدر المصون عن السماع عامة وعن الشعر خاصة وإيراد الشواهد الشعرية، من الأحسن أن نذكر مفهوم الاستشهاد لغة واصطلاحًا.

الاستشهاد لغةً: الاستشهاد على وزن استفعال، وفعله الماضي شهد بمعنى طلب الشاهد، والاسم الفاعل منه الشاهد، وهو من "شهد الشيئ إذا عاينه"، والشاهد هو النجم، وقيل: "ما لفلانٍ راوٍ ولا شاهدٍ، معناه: ما له منظر ولا لسان"[23]، أو هو "العالم الّذي يبيّن ما علمه" [24]. والشهادة: "هو خبر قاطع، واستشهده: سأله أن يشهد"[25]. لذا يمكن القول بأنّ الشاهد "هو الخبر القاطع الموثّق الّذي يرويه عالم اللغة عن الناطقين بها"[26]. وكما عرَّفه د. محمد عيد بأن "الشواهد في النحو أخبار

قاطعة موثَّقة، يسوقها علماء اللغة عن الناطقين باللغة، والمصدر الاستشهاد هو القيام بالخبر القاطع في الإشارة إلى القاعدة من شعر أو نثر"[27]. لذا يقول السيوطي عن الشاهد: "وهو ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن الكريم، وكلام نبيّه ﷺ وكلام العلماء قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بظهور المولَّدين الكثيرين نظمًا ونثرًا عن رجل مسلم أو كافر"[28]. وكما قال الآلوسي عنه: "هو الجزئيّ الّذي يُذكر لإثبات القاعدة كآية من التنزيل أو قول من أقوال العرب الموثوق بعربيَّتهم"[29].وعليه نستطيع أن نقول بأنّ الشاهد في الاصطلاح: "هو قول عربيّ شعرًا أو نثرا قيل في عصور الاحتجاج، والمراد الاحتجاج به على قول أو رأي أو قاعدة"[30].والشاهد يأتي عامةً في تأييد قاعدة فرعية مختلف فيها، أو لتبيين خروجها عن الأصل. وأمّا القواعد الكلية فإنّها لاتتابع الشواهد، ولذا توقَّف النحويون عن الاحتجاج على الفاعل بأنّه اسم أو أنَّه مرفوع، ولم يقوموا بالاستشهاد على اسمية المبتدأ، ولا على تعريفه، فالشاهد في ضوء كتب النحويين في معظم الأحيان إمّا لأمور إضافية، أو خارجة عنه.

موقف السمين من السماع: والسماع الذي يثبت في كلام مَن يوثق بفصاحته فيشتمل على القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر العربي الفصيح، فهذه ثلاثة أنواع معروفة[31].

1- **القرآن الكريم:** فقد جاء السمين الحلبي في تفسيره ملتزمًا ومحافظًا لغة القرآن الكريم وقراءاته المتعددة، وقام بالاستشهادات الكثيرة بكتاب الله سبحانه وتعالى، وبدأ أن يذكِّر بأنَّه السماع وأجلُّ السماع، وأنَّه يناسب لنا أن نحمله اللغة العربية الفصيحة ومختلف صور تعبيرها، ومن ذلك أنَّ بعض علماء العربية كانوا يسجِّلون وجوها ضعيفة في إعراب قوله ﷻ: (ö Nß g ç / Éj ‹ t ã é 'sù (# r ã □x ÿ x . t ûï Ï %©! $ # $ ¨ Br 'sù)[32]، فقام السَّمين بالرد عليهم قائلا: "وهذا ينبغي أن لا يجوز لعدم الحاجة إليه، مع ارتكاب وجه ضعيف جدّا في أفصح كلام"[33].وكما يخالف العكبري الذي أراد أن يخرّج الآيات حسب القاعدة "حذف الفاء من جواب الشرط" مستشهدًا ببيت الشعر المشهور: من يفعلِ الحسنات اللهُ يشكرها. فيقوم بالرد علي أبي البقاء قائلا: "وكيف يسوِّي الآية بالبيت، وهو لا يجوز إلا في ضرورة ؟"[34]. وهكذا نجد السمين الحلبي يُجِلُّ ويلتزم بهذا القسم من السماع، ويَعُدُّه في أعظم منازل الفصاحة.

2- الحديث النَّبويّ: نرى العلماء المتأخرين يكثرون من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف لإثبات قواعدهم، أوتقرير لهجة من لهجات العرب خلافًا للمتقدمين، وعلى رأسهم ابن مالك والسّمين وغيرهما، الّذين كانوا يعدونه قسمًا من أقسام السماع الموثوق به في مجال اللغة أو الصناعة النحوية. ومن هنا نرى مئات من الأحاديث الموجودة في كتبهم عامةً وفي الدر المصون خاصةً.

3- **الشعر العربي الفصيح:** وأما الشعر العربي الفصيح من أهم الروافد الغزيرة التي منحت النَّحو العربيّ المادة الّتي ساعدته على التَّعقيد والتقرير، فقد لعب علماء العربيّة دورهم النشيط في استقراء مادته من عامة الناس من البوادي والقرى، وتحصَّلوا على كثير من الشَّوارد، فما كان منها مطَّردا معروفًا تقبلوه وقاموا بالقياس عليه، وما كان منها شاذًّا نادرًا أَبْقَوه بدون القياس عليه، ويُكثر السَّمين من الاحتجاج والاستشهاد بالشِّعر، وكتابه مليئ بالشعر حتى لا نجد ورقة واحدة خالية من وجود

مجموعة من الأشعار، حتى إنَّها وصلت في كتابه مئات الأبيات الّتي تنتمي إلى عصور اللُّغة الفصيحة. ومن ميزة السمين الحلبي بأنه يستخدمها دليلًا من دلائل الردِّ على مخالفة الناس الَّذين قد يرنكرون قاعدة ممّا أثبته، فيستخرج أمام أنظارهم بعض هذه الأشعار على سبيل الشَّواهد مثلًا، فقد رفض بعض العلماء[35] مسألة "عند كون الفاعل ضميرًا عائدًا على شيء متصل بمعمول الفعل"، فردَّ عليه بإيراد الشعر التالي[36]:

أَجَلُ المرءِ يستحِثُّ ولا يَدْ ري إذا يبتغي حصولَ الأماني

وهكذا أنكر بعضهم "إتيان الفاء في خبر المبتدأ المنسوخ بحرف من حروف النواسخ مثل "انَّ" أو "لكنَّ" عند كونه اسما موصولا لكون تشبيه الموصول بالشَّرط"، فقام السمين بالرد عليه بقول الشاعر التالي[37]:

فواللهِ ما فَارقْتُكُمْ عن مَلالة ولكنَّ ما يُقْضَى فسوف يكون

وقال: "والسماع حجَة عليه"[38].وينكر إتيان أَنْ المفتوحة لمعنى النَّفي، ويقول: "وهذا قول ساقط إذ لم يَثْبُتُ ذلك من لسان العرب"[39].

الشواهد الشعرية النادرة أو الشاذَّة : ومع إلمام السمين الكثير بالسماع الشِّعري، نراه قد ينكر بعض الأشعار التي تخالف القاعدة المطَّردة، ويراها ضرورة إليها لكون ندورها وكونها لا تنظِّم قاعدة، وهو في هذا كالبصريين الَّذين يريدون الاطِّراد، ومن ذلك مسئلة "الشرط في عدم سبق الجملة الحالية المثبتة بالواو"، وأمَّا قول الشاعر[40]: نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مالكا فهو شاذ[41].

كما أنّنا نراه يقول: "أن لا يُلْتَفَت لضرورة الشِّعر في حذف علامة تأنيث الفعل المسند إلى الضَّمير[42]. من نحو:

ولا أرضَ أبقل إبقالَها".

ومسئلة "عند اجتماع المعرفة والنكرة يجب جعْل المعرفة مُحَدِّثا عنها والنكرة حديثا"، فقال السَّمين: "وعكس ذلك قليل جدا أو ضرورة"[43]، نحو[44]: يكونُ مزَاجَها عَسَل وماءُ

وأَمَّا مسئلة "حذف حرف الجر وانتصاب مجروره"، فقد قال عنه السَّمين بأَنَّه "ضعيف لا يجوز إلاّ في ضرورة" [45] نحو[46]:

وأُخْفي الَّذي لولا الأَسى لَقَضَانِي

ومع ذلك أنَّ السمين الحلبي يقوم أحيانًا بالاعتراف بالقاعدة عند وجود السماع الشعري المطرد لا يقف أثناء الاعتراض عليها، فقد بيَّن اتجاه الكوفيين في مسئلة "كواز حذف الضمير عند جري الصفة على غير من هي له بأنه حسن"، وساعد هذا الاتجاه بكثرة الاستشهاد بالشِّعر الفصيح. ثمَّ قال: "فكثرةُ ورودِ هذا دليل على جوازه"[47].

الشِّعر المولَّد في نظر السمين: والشعر المولَّد فقد تم رفضه رفضًا تامًّا عند سائر النحاة سواء من متأخري الزمان أو متقدِّميه، وذلك جاء من خوفهم أن يقع اللَّحن فيه، ولكن العلماء المتأخرين بدأوا بالإكثار من الاستئناس به سواء ذكروا عنه بأنَّه مولَّد أم لم يذكروا عن ذلك، وكان السّمين الحلبي من هؤلاء العلماء الذين يساعدون مواقفهم بمثل هذه الأشعار على طريق الاستئناس ولا على طريق الاستشهاد والاحتجاج به لتثبيت قاعدة من قواعد العربية، وإنما لا يَجِدُون غضاضة من ذلك.

النتائج: تتخلص نتائج هذا البحث العلمي فيما يأتي:

أوَّلًا: أنَّ الاستشهاد بالشعر واللغة يُعدُّ من أسبق أشكال الدراسة اللغوية.

ثانيًا: أنَّ كلًّا من كتب معاني القرآن وإعراب القرآن جمعت الجهود الأولى التي بذلت في تفسير وتشريح الآيات القرآنية تحليلًا لغويًا وتبيين ما تعلق بها من شواهد شعرية ولغوية.

ثالثًا: أن كتب المعاني تذكر كل ما يتعلق بلغة القرآن وبوجوه إعرابه والوقوف عند مشكله وتجلية معانيه، ويربط ما من المشكلات في ألفاظ القرآن الكريم، وما يحتاج إلى شيئ من التعقيد في فهمها.

رابعًا: أن بعد ظهور كتب المعاني والإعراب، أصبحت قضية الشواهد من القضايا العادية يمارسها المؤلفون في سائر الأشياء التي لها علاقة بالدرس النحوي على اختلاف جلي بين المؤلفات في تأليفها وتقديمها مع تأثرهم بما وعوا من الآيات القرآنية ومن الأشعار ومصنفات الأسلاف. فبعضهم اهتموا بالشواهد القرآنية ورجحوا عناية فزادت الشواهد الشعرية.

خامسًا: أن السمين الحلبي قد تعمق في تفقه علوم العربية وقام بتمثلها، ومؤلفه الدر المصون أحسن دليل على ذلك.

سادسًا: سار السمين حسب منهج أستاذه الجليل الذي يتكئ على استقراء الآراء من مؤلفات السابقين، وتقديمها، ثم استوقف السمين نفسه أمام هذه الآراء كالمنضد والناقد لها، فقد يفضِّل بعض الآراء على الأخرى، وقد يمرِّض بعضها الأخرى مع الأدلة لكلِّ الآراء ما يقول.

سابعًا: أن السمين الحلبي يُجِلُّ ويلتزم بهذا القسم من السماع الذي يشمل القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر العربي الفصيح.

ثامنًا: أن السَّمين يُكثر من الاحتجاج والاستشهاد بالشِّعر، وكتابه مليئ بالشعر حتى لا نجد ورقة واحدة خالية من وجود مجموعة من الأشعار.

تاسعًا: أن السمين على إلمامه الكثير بالسماع الشِّعري، قد ينكر بعض الأشعار التي تخالف القواعد المطردة، ويراها ضرورة إليها لندورها وكونها لا تنظِّم قاعدة.

عاشرًا: أن السّمين الحلبي كان من أحد هؤلاء العلماء الذين يساعدون آراءهم بالشعر المولَّد على سبيل الاستئناس ولا على سبيل الاستشهاد والاحتجاج به لتثبيت قاعدة من قواعد العربية.

المصادر والمراجع

1- إبراهيم عبد الله رفيدة، الدكتور: النحو وكتب التفسير، الدار الجماهيرية العربية الليبية، ط3، 1990م، ج1، ص145.

2- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (311ه): معا ني القرآن وإعرابه، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1974م، ج1، ص1.

3- المصدر السابق، مقدمة الدكتور شلبي، ج1، ص39.

4- المصدر السابق، مقدمة الدكتور شلبي، ج1، ص22.

5- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (338ه): إعراب القرآن، تحقيق الدكتور تآمر والآخرون، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2007م، ج1، ص9 .

6- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن حسين (616ه): التبيان في إعراب القرآن، تقديم علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، 1976م، ص د–هـ .

7- إميل بديع، الدكتور: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1996م، ج2، ص726.

8- النحو وكتب التفسير، ج1، ص578.

9 – العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر (852هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ج1، ص339. والسيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج1، ص440.

10 – ابن قاضي شهبة، الإمام تقي الدبن الأسدي الشافعي (851هـ): طبقات الشافعية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ج3، ص18، وابن العماد الحنبلي، شهاب الدبن أبو الفلاح بن أحمد بن محمد العطري الحنبلي الدمشقي (1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسير، بيروت، لبنان، ط 2، 1979م، ج6، ص179.

11 – السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (756هـ): الدر المصون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق وبيروت، ط1986،1م، ج1، ص14.

12 – ابن حجر العسقلاني (852هـ): الدرر الكامنة، ج1، ص339.

13 – جلال الدين السيوطي (911هـ): حسن المحاضرة، ج1، ص440، والزركلي، خير الدين: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط16، 2005م، ج1، ص741.

14 – ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (833هـ): غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ج1، ص274.

15 – الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (772هـ): طبقات الشافعية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص422.

16 – السمين الحلبي (756هـ): الدر المصون، تحقيق الخراط، ج1، ص15.

17 – ابن الجزري (833هـ): غاية النهاية، ج1، ص138.

18 – السمين الحلبي (756هـ): الدر المصون، تحقيق الخراط، ج1، ص14.

19 – جلال الدين السيوطي (911هـ): حسن المحاضرة، ج1، ص440.

20 – حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (1097هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1982م، ج1، ص122.

21 – السيوطي، جلال الدين (911هـ): الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق للدكتور مصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1987م، ج1، ص189.

[22] – الداوودي: شمس الدين (945ھ): طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ج1، ص100.

23 - الأزهري، أبو منصـــور محمد بن أحمد (370ه): تهذيب اللغة، تحقيق عبد المنعم خفاجي، الدار المصـــرية للتأليف، القاهرة، 1398ھ، ج6، ص75-76.

24 - الزبيدي، السـيد محب الدين محمد مرتضـــى الحسـيني الواسـطي (1205ه): تاج العروس من جواهر القاموس، وزاة الأعلام، مطبعة حكومة الكويت، 1971م، ج4، ص391.

25 - الفيروزآبادي، أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشـيرازي (817ه): القاموس المحيط، (شـــهد)، المطبعة الأميرية، ط1، ج3، ص303.

[26] – أحمد رضا، الشيخ (1372ھ): معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1959م، ج3، ص385.

27- محمد عيد، الدكتور: الرواية والاستشهاد باللغة، دار الكتب، مصر، 1976م، ص104.

28 - جلال الدين السيوطي (911ه): الاقتراح في أصول علم النحو، طبعة دلهي، الهند، 1312ھ، ص48.

29 - الآلوسـي، السـيد محمود شـكري (1270ه): إتحاف الأمجاد في بيان ما يصـح به الاسـتشـهاد، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، الجمهورية العراقية، 1982م، ص35.

30 - مصطفى صادق الرافعي (1937م): تاريخ آداب العرب، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط3، 1953م، ج1، ص47.

[31]– جلال الدين السيوطي (911ھ): الاقتراح في أصول علم النحو، ص14.

[32]– سورة آل عمران، الآية: 56.

[33]– السمين الحلبي (756ھ): الدر المصون، ج3، ص215.

[34]– المصدر السابق ج3، ص136.

[35]– المصدر السابق، ج3، ص115 – 116.

[36]– أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان (745ھ): البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 1983م، ج2، ص488.

[37]– البيت للشاعر الجاهلي الأفوه الأودي، صَلاءة بن عمرو بن مالك اليمني (560م)، وهو في ابن جني، أبو الفتح عثمان (392ھ): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، 1955م، ج1، ص15.

[38]– الدر المصون، ج3، ص93.

[39]– المصدر السابق، ج3، ص256.

[40]– البيت لعبد الله بن همام السلولي (100ھ)، وهو في ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن (669ھ): المقرب، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1971م، ج1، ص155 .

[41]– السمين الحلبي (756ھ): الدر المصون، ج2، ص348.

[42]– المصدر السابق، ج3، ص47.

[43]– المصدر السابق، ج4، ص472.

[44]- البيت لحسان بن ثابت (55هـ)، وهو في ديوانه، شرح عبد الرحمن البرقوقي (1363هـ)، مكتبة الرحمانية، مصر، لاط، 1929م، ص59، وصدره: كأنَّ سُلافةً من بيت رأسٍ.

[45]- السمين الحلبي (756هـ): الدر المصون، ج4، ص487 – 488.

[46]- البيت للشاعر عروة بن حزام، وهو في ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف (761هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق الدكتورة مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، ط1، 1979م، ص152، وفي العيني، بدر الدين محمود (855هـ): شرح الشواهد، دار الكتب العلمية، بيروت، لاط، لات، ج2، ص55، وصدره: نَحنُ فُتَبَدي ما بها من صبابة.

[47]- السمين الحلبي (756هـ): الدر المصون، ج3، ص67 – 68.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License